## المبحث الثاني : الانتقادات و الاتهامات التي وجهت لمؤلف القصة ابن طفيل

### 1- الانتقادات التي وجهت لابن طفيل :

اتهم ابن طفيل بالزندقة والإلحاد قال شيخ الإسلام ابن تيمية " وهذا في الجملة قول المتفلسفة والباطنية كالملاحدة الإسماعيلية وأصحاب رسائل إخوان الصفاء والفارابي و ابن سينا و السهروردي المقتول وابن رشد الحفيد و ملاحدة الصوفية الخارجين عن طريقة المشايخ المتقدمين من أهل الكتاب والسنة ابن عربي و ابن سبعين و ابن طفيل صاحب رسالة حي بن يقظان وخلق كثير غير هؤلاء "[1].

- **مكانة العقل في قصة ابن طفيل :**

مما يلاحظ في القصة الضرب كثيرا على مسألة العقل الذي يدندن حولها كثيرا الفلاسفة ولذلك لاقت قصة حي بن يقظان هذه رواجا عظيما بين المفكرين والفلاسفة و أصحاب النزعة العقلية , ولا يزال الكثير من هؤلاء يعتبر هذه القصة الفيصل في قضية العقل ولا يزالون يؤمنون بأن العقل موهبة طبيعية تنمو من تلقاء نفسها سواء عاش الإنسان في مجتمع أم عاش منذ ولادته وحيدا منعزلا .

" إن هذا مخالف لكثير من الأبحاث العلمية الحديثة التي تكاد تجمع على خطأ هذا الرأي , حيث ثبت اليوم أن العقل البشرى صنيعة من صنائع المجتمع وهو لا ينمو أو ينضج إلا في زحمة الاتصال الاجتماعي "[2] .

كما يعرض ابن طفيل في قصته أن عقل هذا الإنسان استطاع أن يفكر ويستنتج حتى توصل بتفكيره المجرد إلى كثير من الحقائق الكونية التي توصل إليها الفلاسفة العظام من قبل , وهذا العقل البشري ينمو من تلقاء ذاته ولا حاجة به إلى التعلم أو التلقين , هذه القصة

[1] عبد الباسط بن يوسف الغريب , نقد القصة الفلسفية حي بن يقضان الموقع الالكتروني https://www.ahlalhdeeth.com/ مكتبة نور ص14 تم الاطلاع في 2020/04/05 , 15:52 .

[2] نفسه ص14.

الفلسفية سلك فيها مؤلفها مسلك من مسالك الباطنية وهو التعبير بالرمز عن الحقائق التي يخفونها .

" فهذا أبو حامد الغزالي يذكر في كتاب " ميزان العمل " أن الآراء ثلاثة أقسام :

- **أولا** : رأي يشارك فيه الجمهور فيما هم عليه.
- **ثانيا:** رأي يكون بحسب ما يخاطب به كل سائل و مسترشد.
- **ثالثا:** رأي يكون بين الإنسان ونفسه لا يطلع عليه إلا من هو شريكه في اعتقاده.

والرمز عبارة عن التكلم بلغتين متقابلتين : أي من جهة الصورة العامة و التعابير تكون المعاني الواضحة و المدركة من طرف الجميع هي المعاني التي تصادق عليها العامة أما المعاني الضمنية و المرمزة فتحمل بين طياتها مقاصد المفكر و مراميه , و يمكن التعبير عن فاعلية هذه الطريقة بعملية " تحقين " ، أو على أنه مدح في الظاهر قدح في الباطن "[1].

وقد سلك ابن طفيل في قصته تلك هذا المسلك فعبر في هذه القصة برموز وألفاظ ظاهرها السلامة والرحمة وباطنها العذاب والكفر .

يقول إبراهيم عبد الله : " لقد اختار ابن طفيل لبطل قصته اسم (حي بن يقظان) والحي هو ألدارك وهو المتحرك من ذاته بحركات محدودة نحو أغراض وأفعال محدودة تتولد عنها أفعال محدودة واليقظان هو المستعمل للحواس , فجمع له بين الإدراك العقلي وبين الممارسة العلمية الخاضعة للتدبير "[2].

والى هنا استطاع ( حي )بقواه الحسية و الفكرية الناتجة عن فطرته الفائقة إدراك و معرفة نظرية وعلمية كاملة، وتحرك بالفعل ذاتي واع وبتدبير كبير ( مشدوها بلغز هذا الوجود ) لبلوغ الكمال الميتافيزيقي.

فـ ( حي ) إذن يرمز عند ابن طفيل لأدوات المعرفة في تحررها وتفتحها وتألقها وشوقها إلى المعرفة التي ترمي بالذات من خلال أفعال محدودة في أتون المطلق.

---

[1] عبد الباسط بن يوسف الغريب , نقد القصة الفلسفية حي بن يقضان , م س , ص 15.

[2] نفسه ص15.

أما ( آسال ) في رسالة ابن طفيل فيرمز ( للعقل الديني ) الذي يترقى في المعرفة متجاوزا طوق التقليد و ظواهر النصوص، كلف بالتأمل والغوص على المعاني، محبا للعزلة المعنية على ذلك حتى يصل بمساعدة ( حي ) إلى درجة الاتصال.

" إن هذا العقل بمواصفاته التي حرص ابن طفيل على التشديد عليها، هو وحده القادر على التجاوب مع (العقل الفلسفي) الذي يمثله (حي بن يقظان) ولذلك سيجسد ابن طفيل من خلال لقاء ( آسال ) بـ ( حي ) واطمئنان بعضهما لبعض، وتبادلهما لتجاربهما، إخاء الفلسفة والشريعة والمحبة الطبيعية التي تحدث عنها ابن رشد في ( فصل المقال ) ولا يخفى أن هناك قرابة واضحة بين ( آسال ) ابن سينا و ( آسال ) ابن طفيل، وإن لم يكن بينهما تطابق تام , فكلاهما ترقى في مراقي المعرفة، حتى بلغ درجة من الكمال , أما ( سلامان) ابن طفيل فرمز ( للعقل الديني) والوقوف عند الظواهر المحب للاجتماع الإنساني والحريص عليه ، فالعقل غير مؤهل – عادة – لفهم ( الحكمة ) والتجاوب معها , وقد أسند ابن طفيل لسالمان نفس الوظيفة التي أسندها ابن سينا لسميه، فكلاهما ( ملك ) وإن كانت الأدوار التي قام بها كل منهما منسجمة مع السياق الفلسفي ( الأدبي للقصة ) "[1].

**2- الانتقادات المتعلقة بقصة حي بن يقظان :**

بدايتا لا بد من التنبيه أن القصة كما ذكر غير واحد من المؤرخين أنها للفيلسوف ابن سينا , وهذا الأخير أحد فلاسفة الإسلام المتهمين بالزندقة والإلحاد .

حيث قال ابن تيمية في هذا السياق " تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات و النبويات والمعاد، والشرائع، لم يتكلم بها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم، ولا بلغتها علومهم , فإنه استفادها من المسلمين، وإن كان إنما يأخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى الإسلام

[1] عبد الباسط بن يوسف الغريب , نقد القصة الفلسفية حي بن يقضان م.س ص16

كالإسماعيلية؛ وكان أهل بيته من أهل دعوتهم من أتباع الحاكم العبيدي الذي كان هو وأهل بيته معروفين عند المسلمين بالإلحاد "[1].

وقد كتب علي بن أبي الحزم القرشي القصة وغير عنوانها فسماها ( فاضل بن ناطق ) وكذلك للسهروردي المتهم بالزندقة والإلحاد رسالة على هذه القصة , ولا شك أن تتابع هؤلاء الفلاسفة على هذه القصة الفلسفية بالشرح أو التأليف له مغزى وخلفيات فلسفية .

" ومما يؤكد الصلة بين رسالة ابن طفيل ورسالة ابن سينا ما قاله الأستاذ إبراهيم عبد الله الشخصيتان المعينتان ل (حي) بن طفيل، على اكتشاف الدين والمجتمع؛ آسال وسالمان فاقتبسهما ابن طفيل من قصة نوه بها ابن سينا في القسم الأخير من سفره ( الإشارات والتنبيهات )، و أومأ إلى أنها من الرموز التي تحمل معاني جديرة بالتأمل... إن العناصر التي نعتبر أن ابن طفيل استلهمها من فلسفة ابن سينا، وخاصة من رسالتي (حي ابن يقظان) و(آسال وسلامان ) السينويتين، باعتبارهما تضمان كثيرا من هذه العناصر السينوية التي هي من أسرار هذه الحكمة المشرقية التي نوه بها ابن طفيل في بداية رسالته الفلسفية هي : القول بالتولد الذاتي، وجوهرية النفس، والقول ب ألوهية الأجرام السماوية، والقول بالمجاهدة والقول بالحياة بعد الموت، وهي عناصر تخترق النص الفلسفي وتشكل لحمته الأساسية "[2].

### 3- موقف الأدباء والنقاد من فن القصة :

احتلت هذه القضية مساحة واسعة من اهتمام الكتاب والنقاد فمنهم من يعتبره فنا راقيا وضرورة ذات أهمية كبيرة , كما نجد بعضا منهم لا يحب هذا النوع من الفنون , وبما أن قصة حي بن يقظان لابن طفيل قد صيغت على شكل قصة فإنها لم تسلم من النقد .

" فقد سُؤل مصطفى صادق الرافعى (1880-1937) لماذا لا يكتب في القصة ؟ فيجيب بأن أدب القصة قد شاع في أوربا وطغى عندهم على المقالة والكتاب والشعر جميعا ، فقام

[1] عبد الباسط بن يوسف الغريب , نقد القصة الفلسفية حي بن يقضان , م س , ص12.

[2] نفسه ص 13.

عندنا كما يقول المتابعون في الرأي يدعون إلى هذا الفن من الكتابة ولا يرون من لا يكتب فيه إلا مدبرة عن عصره وأدب عصره "[1] .

" ثم يعلن أنه هو نفسه لا يعبأ بالمظاهر والأعراض التي يأتي بها يوم وينسخها يوم آخر ومع ذلك نراه لا ينكر أن القصة قد تكون أدبا عاليا ، إلا أن هذا لا يكون إلا بأخذ الحوادث وترتيبها في الرواية كما يربي الأطفال على أسلوب سواء في العلم والفضيلة ، إذ لا ينبغي في رأيه أن يتناول هذا الفن غير الأفذاذ من فلاسفة الفكر ؛ وهو من ثم يحمل على الكتاب الذي يؤلفون نصص يدغدغون بها الغرائز ويسميهم رعاعا وهمجاكما يرى الرافعي أن اغلب القصص كان المسعى منها اللهو وتزجيه الفراغ وهذا يكون له وجه في علاج الحياة العملية وتخفيف حطمة الاجتماع في أوربا وأمريكا ، أما الشرق فالأولى أن يعالج مما هو منغمس فيه من لهو جعل وجوده عدمه , فالقصص في أحسن الأحوال هي في رأيه مسكنات عصبية ثم تنقلب بعد فترة إلى مهيجات عصبية "[2] .

" إن وجهة نظر الرافعي تعتمد أساسا على التفرقة بين الشرق والغرب , لكن الفن القصصي كما نعرف وليست القصة إلا شكلا من الأشكال التي اتخذها هذا الفن على مدى تاريخه الطويل , يسد حاجات إنسانية لا تختلف من مجتمع لآخر, بحكم أنه على حق في زرايته على هؤلاء الكتاب الذين يعتبرون كل أديب لا يكتب القصة متخلفا عن عصره , إذ إن القصة لا تشمل ولا يمكن أن تغطي كل حقول الأدب ، كذلك فليس كل كاتب بمقدورها الامتياز في كتابة القصة إذ أن المسألة هي مسألة موهبة واستعداد "[3].

" من الواضح أن الرافعي ، في تقليله من شأن هذا الفن ، كان يضع نصب عينه القصص ذات المستوى الهابط، إلا أن هذا لا يسوغ حكمه ذاك على هذا الفن ، إذ كل جنس أدبي يشارك فيه الممتازون وغيرهم ، فلو قللنا من شأن كل فن لأن من بين من يتناولونه من

[1] إبراهيم عوض , نقد القصة في مصر , 1888م,1980 م مكتبة زهراء الشرق , 116 محمد فريد – القاهرة د ط , ص 97.
[2] نفسه ص ص 98.97.
[3] نفسه ص 98.

لا يتمتعون بالموهبة اللازمة أو من لا يراعون ذمة الخلق الكريم فلن يكون ثمة أدب على الإطلاق , أما شرط الرافعي ألا يتولى الكتابة في هذا الفن إلا الأفذاذ من فلاسفة الفكر فإنه لا يأخذ في الاعتبار الجانب الفني من المسألة ، إذ هو بذلك يركز كل اهتمامه على المضمون وحده "[1].

" أيضا الأديب عباس محمود العقاد* فانه لا يعلى كثيرا من شأن القصة ، إلا أن رأيه في هذا الجنس الأدبي أقل قسوة من رأى الرافعى إنه لا يعدها أفضل الأجناس الأدبية بل يضعها في مرتبة دون الشعر ، وأسبابه في ذلك هي : أن الكاتبات المتوسطات المستوى تميزن في كتابة القصة مع ما هو معروف من ضعف الموهبة الأدبية عند النساء "[2].

أن الثمرة التي يجنيها القارئ من قراءة قصة ما لا تعكس الجهد الذي عانه الكاتب في سرد أحداث القصة , وأن قراءة القصة إنما تشيع بين العامة . لكن العقاد مع ذلك لا يعادي القصة كفن أدبى بل يعتبر أن القصاص الممتاز ينبغي أن ينال حقه.

" إن هذه التفرقة بين الأجناس الأدبية قديمة فيما يبدو قدم النقد الأدبي ذاته , فأرسطو مثلا كان يضع الشعر فوق النثر ، ويفضل المأساة على الملهاة ، بينما كان أفلاطون يجعل الملحمة على رأس الفنون الأدبية جميعا, وفي الجاهلية كان العرب يفضلون الشاعر على الخطيب ، إلى أن ابتدأ الشعراء يتكسبون بشعرهم فلم يعودوا يحظون بهذه المنزلة العالية وفي العصر الحديث نرى ( شوپنهاور) مثلا يصنف الفنون الشعرية تصنيفا تصاعديا ، واضعا الأغنية في السفح والمسرحية في القمة لأنها أكثر هذه الفنون موضوعية "[3] .

إذن فالتفرقة بين الأجناس الأدبية مفهوم قديم ، إلا أنها في رأينا تعتمد في حقيقة الأمر على الذوق الشخصي وميول الناقد للذاتية ، فبعض الناس يفضلون القصة وبعضهم يفضل الشعر أو المسرح أو غير ذلك .

---

[1] إبراهيم عوض , نقد القصة في مصر, م س , ص 99.

* عباس محمود العقاد أديب ومفكر وصحفي وشاعر مصري، ولد في أسوان عام 1889م، وهو عضو سابق في مجلس النواب المصري، وعضو في مجمع اللغة العربية.

[2] نفسه ص 99 .

[3] نفسه ص99 .